

كانت أزمة الجنوب الوطنية والاجتماعية قبل وجود المقاومة الفلسطينية . وكان كل ما « ينتظره » الجنوب أن تأتي المقاومة لتكشف الأزمة ولتساعد على يقظته السياسية وتحركه ونمو قواه الجديدة الحية الكامنة فيه التي طالما طمست واضطهدت وكبتت !

وبدأت اعتداءات إسرائيل على الحدود وعلى القرى الامامية . وانكشف التناقض . كانت الانعزالية اللبنانية ترفض باستمرار أن ينخرط لبنان في الصراع الوطني وفي الصراع العربي المشترك ضد إسرائيل . وقد أبت لبنان باستمرار ضعيفا على الصعيد العسكري وعملت على اخراجه من حلبة الصراع أثناء الحروب العربية النظامية ضد إسرائيل (عام ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣) . وإذا كانت هذه الحروب ظلت خارج الارض اللبنانية ، فان حرب المقاومة الفلسطينية أصبحت على هذه الارض وعلى الحدود . هل يصبح لبنان عربيا أي منخرطا في الصراع ، أم هو حيادي . . ضعيف . . لا قدرة له ، ولا علاقة له ؟ هذا هو التحدي الذي أطلقه الوجود الفلسطيني على أرض لبنان . وكان جواب الانعزالية اللبنانية « قوة لبنان في ضعفه ، الضمانات الاجنبية ، البوليس الدولي الخ » .

وكان حزب الكتائب أكثر هذه القوى الانعزالية تصلبا وتأكيذا على العزلة وعلى رفض الوجود الفلسطيني ، وعلى رفض تحميل لبنان أية مسؤولية فعلية في الصراع العربي الإسرائيلي . لذلك حمل حزب الكتائب منذ انطلاقة المقاومة لواء معاداة الوجود الفلسطيني . وكان أكثر ما أربع الانعزالية اللبنانية في الوجود الفلسطيني هو انكشاف هذا التناقض في الوضع اللبناني . . . لبنان يعيش اقتصاديا من العالم العربي ، ويرفض سياسيا ان يكون جزءا منه !

وانفجر « الحقد الكتائبي » على الفلسطينيين بتعبئة مستمرة متصاعدة ، لم يكن حادث عين الرمانة الحادث الأول ، إنما سبقته عدة صدامات . ولكن التعبئة المستمرة ضد الوجود الفلسطيني كانت تعكس خوف الانعزالية اللبنانية من انكشاف وضعها ومن تفجر التناقض اللبناني نفسه . وكان أكثر ما يخيئها ويرعبها هو عجز الاطار التقليدي الطائفي من امتصاص « العامل العربي » كما حدث في المرحلة السابقة (في أحداث عام ١٩٥٨) . فالعامل العربي هذه المرة هو القضية الفلسطينية التي أصبحت قضية داخلية في لبنان ، وجزءا من تكوينه الجماهيري نفسه .

تخلخل التوازن التقليدي ، انكشفت الأزمة ، وتفجر التناقض .

هذا ما عبر عنه حزب الكتائب حين أخذ يحمل الثورة الفلسطينية مسؤولية فقدان التوازن التقليدي السابق في لبنان . تقول جريدة « العمل » : (قبل هذا . . كان اللبنانيون ، رغم الاختلاف التقليدي الذي يعتبر حقيقة موضوعية لا جدال فيها يتدبرون أمرهم ما بينهم . بعض التساهل من هنا ، يقابله بعض التساهل من هناك ، وتستقيم الحال ، ويتأمن التوازن . . ويتأمن للحكم أيضا الرضى الشعبي النسبي وتصبح كلمته وقراراته مقبولة من الفريقين بدلا من أن يرفضها فريق ويقبلها الفريق الآخر . . هذا حتى قامت الثورة الفلسطينية متخذة من لبنان مقرا لها . وكما يقول الشيخ بيسار الجميل : « فلسطين كلها أصبحت في لبنان روحا وجسدا » ! . . وبصرف النظر عما إذا كان التواجد الفلسطيني ، كما هو الآن ، حسنا أم سيئا ، منظما أم فوضويا ، ففي مطلق الاحوال لقد أحدث اختلالا في الحياة اللبنانية . . اختلالا في التوازن (٢) !

اختلال التوازن التقليدي . . هذا هو سبب « الحقد الكتائبي » على التواجد الفلسطيني . ولكن الكتائب لا تريد أن تعرف ان التوازن التقليدي في لبنان ليس سرمديا